فحولــة شـــــعر الصعاليك
(سلطة نص أم نص سلطة)

نبراس هاشم ياس
كلية التربية / جامعة كربلاء
نقد أدبي حديث/ نقد ثقافي

خلاصة البحث

جدل العلاقة بين اللغة والمجتمع له دور رئيس في تطوير المجتمع يقول ماركس إن المجتمع يستطيع التخلص من متاعبه إذا تخلص من الكلمات الرديئة والسيئة في لغته _ إذا غيّر في لغته_ ،ولهذا أصبح من الضروري دراسة الثقافة واللغة معاً،ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مفردة الثقافة لا تحيل إلى المعنى الاصطلاحي الضيق لها وإنما تتسع لتشمل أنواع عدة من الثقافة :ثقافة السلطة والثقافة المضادة لها فضلا عن ثقافة الثانوية وثقافة المهمشين، والدراسة التي تحقق هذا الدمج هي النقد الثقافي الذي لا يضع جمالية النص من أهم أولوياته ولا يبحث في تقييم النص ولكن يهتم بالنص من حيث علاقته بالايدولوجيا و بالمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي الوقت نفسه فان كل الخطابات داخلة في حقل النقد الثقافي وبهذا الحال يحررنا النقد الثقافي من الانتقائية المتعالية في قراءة النصوص من الاختيار والانتقائية بين النص الراقي والنص الشعبي

هذا البحث يحاول قراءة مفردة حيوية في شعرنا (الفحولة)في شعر جماعة مهمشة ومعارضة (الصعاليك) في العصر الأموي

حاولنا قراءة (الفحولة)بموضوعية كونها من البنى الكامنة في العقل العربي وكونها ثقافة سلطة حاولت بعثها فانقلبت ضدها وهدمتها بمعارضة تبنت المفردة نفسها (الفحولة)فمتى ما افتقدت الدولة لحركية صراع بنّاء مع المعارضة تهشمت وتلاشت وهذا قد يكون من عوامل قصر عمر الدولة الأموية وزوالها المبكر.

Summary

Dialectical relationship between language and culture is the base engine in the evolution of society, Marx said society can remove all the trouble from his community by deleted all the bad words. that is mean change language ,so it became necessary to study the culture and language together, but the culture is not mean a narrow idiom, It is expanded to include three kind ,counter culture ,subculture and fring culture.

And studies that verify this Consolidation is cultural criticism, it did not consider the text from the aesthetic part, and does not seek to assess, but under consideration in its relations with ideologies and influences of historical and political, social, economic, intellectual and analysis .It should be noted that all the letters included in the field cultural criticism .in this way cultural criticism Get rid of selectivity between elite and popular .

This research is an attempt to read a single vital in our poetry (al fohola) its mean Rejected the other . in a dissenting class and (poor)group(Al Salleak) in the era dating as the beginning of civilization: (Umayy age)

We tried to read (al fohola) objectively as one of the structures inherent in the Arab mind .

and when the authority tried to alive and sent (al fohola) again it is turned against authority itself and destroyed it by the opposition which is adopted (al fohola) itself…that is mean:

When any authority missed the kinetic conflict constructively with the opposition it was broken and faded, and this may be one factor in the short life of the Umayy dynasty and erasing early .

المقدمة

لفهم أي ذات وضمان قوتها وعدم تصدعها أو انهيارها أمام تقلبات الحياة بكل مفاهيمها لابد من الاستسقاء من تراثها الثقافي.وقد يتسلل إلى الأذهان حين تذكر الثقافة النتاج الأدبي فقط إلا أن مفردة ثقافة لا تعني النتاج ذات الشكل والمضمون الراقي الخاص بفئة المجتمع العليا بل تشمل كل منتج لأي فئة من فئات المجتمع،وهذا ما يتناوله النقد الثقافي الذي يقدم للمتلقي ما يلي:

1_ كشفا بالأسباب السياسية التي تكمن في امتلاك بعض القيم قيمة أكثر من غيرها في المجتمع

2_فك التباين الهرمي بين ثقافات المجتمع الواحد مما يفسر حراك المصطلحات بين الحدود المرسومة بين ثقافة السلطة وثقافة المعارضة وبين ثقافة الطبقة العليا وثقافة المهمشين.

3_يعمل النقد الثقافي عمل المصفاة التي تزيل ما علق بأذهاننا من أحكام حول بعض النصوص بعدِّها هي الأفضل لا غير ويفتح أبواب البحث والتنقيب في نصوص عدِّة:المعارضة ،الأدب الشعبي، الأدب النسوي ونحو ذالك.

وإن كان مبتغى الناقد الثقافي هو مبتغى وصفي لا تقييمي فأظنه هو الأنسب لمحاورة التراث ومحاولة استنطاقه.وهذا البحث هو محاولة لقراءة مفردة حيوية في تراثنا الشعري (الفحولة)عند فئة معارضة ومهمشة(الصعاليك)في عصر أُرخ على انه بداية المَدَنية.

كانت بداية البحث تنقيباً في بنية العقل العربي التحتية ومن ثم عملها في البنى الفوقية تحديدا في(الشعر)وبعدها قراءة ذات الصعلوك بمحاكمتها تارة أمام بنى العقل العربي وتارة أخرى أمام الخطاب الإسلامي وثالثة مع نظام الدولة التي أنتجتها ..

"إذا أراد المجتمع ان يزيل كل المتاعب التي يعانيها... فليزل كل العبارات سيئة الرنين, فليغير اللغة"1

الإنسان اجتماعي بطبعه ،إحدى غرائزه السّوية هي غريزة التجمع هو(يتحد مع غيره من الناس لان اعتزاله يعرضه للخطر)[2]؛ هذه الغريزة تضمن بقاءه المادي وتحقق له التعايش المعنوي:

1- ماديا لن يتمكن الفرد الواحد من مواجهة خطر البيئة الخارجية وإيجابيا لن يستطيع الإفادة من الطبيعة وترويضها لصالحه بمفرده،حتى أن الجماعة تمكنه من حماية نفسه من خطر بني جنسه، نلاحظ أن الإنسان الفاسد في أي مجتمع يُردع (إمّا أن يعتبر أو يأخذ الآخرون العبرة منه)[3].

2- معنويا فالجماعة لا تؤمّن الحاجات الاقتصادية وحسب، وإنما الثقافية والسيكولوجية والروحية لأن (الغرض الأسمى للإنسان- أي تنمية جميع القدرات الطبيعية- لا يمكن إن تنجزه الإنسانية إلا في المجتمع)[4]، يقول كانط واصفاً المجتمع المدني انه (يستلزم وجود ميدان عام ليبرالي يوفق بين الفردية الكلية, وبين التناحر والانتماء عبر مؤسسات جمهورية يحكمها القانون)[5].

3- وجوديا_وتتمة لما ذكر وبتتابع سُلّمي_الجماعة ضرورة ليحقق الإنسان فرديته Individual وذاتية self –fulfillment وهويته Identity ووجوده Being داخل الجماعة:(كل واحد منا يولد مرتين:في الطبيعة وفي المجتمع)[6] .

إن كينونة الفرد وعلاقته مع الآخر (فرد، جماعة)نوعا ما تتشكل وفقا لطبيعة وسائل الإنتاج ونظام العمل وتقسيماته السائدة فيه،هذا ما نصته إحدى نظريات علم الاجتماع وهي نظرية المجتمع الجماهيري Sociality Theory

تقدم هذه النظرية نوعين من المجتمعات[7]:

1- المجتمع التقليدي Traditional Society: يتكون هذا المجتمع من جماعات صغيرة تعتمد الزراعة والصيد والرعي ، وتلعب القيم والتقاليد والأعراف دوراً مهماً فيه.

2- المجتمع الجماهيري Mass Society وهذا النوع من المجتمعات هو نتاج الثورة الصناعية.

ويمكننا القول إن المجتمع العربي قبل الإسلام يدخل في النوع الأول, ونمط الثقافة السائدة فيه بوصفها (أسلوب حياة مجموعة معينة من البشر يعيشون في مكان واحد)[8] هي ثقافة القطيع Herd Culture[9]، إذ إن الأفكار والميول تكون جماعية، أي عدم استقلالية الفرد الفكرية، وضرورة التزامه بأداء الجماعة (والعيش تحت خيمتها لا يمكن له أن يستمر إلا إذا قدم الفرد تنازلات هائلة, لا تقل عن ذوبان ذاته في ذات المجموع التي تمثل المؤسسة الرسمية... فنقرأ الذات باعتبارها جريمة يرتكبها صاحب الذات بانفصاله عن الذات الجمعية)[10] وتلك الثقافة نجدها في الشعر (الطاقة الإبداعية الأولى عند العرب)[11] وخزّان ثقافتها (كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم, به يأخذون, وإليه يصيرون)[12]، نجد فيه ميول الفرد قوية للجماعة (النحن قبيلة)، مقابل ضمور الأنا الفردية، بمعنى إن الفرد يذوب وينصهر في الجماعة، حتى وإن كانت على خطأ, والجماعة تتكلم بصوت واحد، وهذا التماسك لا يقتضي التفريط في أحد أفرادها؛ انه تضامن آلي Mechanical Solidarity[13]، وتآزر كلي كما يراه عالم الاجتماع دوركايم او كما ينص المأثور العربي (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[14]، وهذا نتيجة حتمية لضمان استمرارية وديمومة الحياة وحفظ الحياة وحفظ البقاء في واقع يتسم بالصراع المستمر لقسوة البيئة(الصحراء), يقول دريد بن الصمة:[15]

وما أنا إلاّ من غزية إن غوتْ غويتُ وإن ترشدْ غزيّة ارشدِ

حتى وإن ذكر الشاعر ضميرا منفصلا (أنا)، فإن شعوره بالذات يتضاءل ويضمر مقابل (النحن)، كما صرح بذلك ضمرة بن ضمرة النهشلي:[16]

وما أنا بالساعي ليحرز نفسهُ ولكنني عن عورة الحي ذائدُ
وإن يك مجد من تميم فانه نماني البقاع نهشلٌ وعطاردُ

إن صوت (الأنا) لم يسقط ظلالا نرجسه على شخصية الشاعر الجاهلي، وخاصة إن للشاعر الجاهلي دور المثقف التقليدي والمنسق، في مجتمع يكاد الاتصال الجماهيري Mass Communication [17] أن يكون معدما أو شبه معدم فيه، فضلاً عن كون الشاعر عامة نرجسي بطبعه، فالأدب (في اختزال التعاريف ذاتي، أنوي، شخصاني... والشعر أولا وقبلا هو تكثيف للمشاعر الذاتية, والمنطلق الشخصي).

ولأن الشاعر الذي يمجد ذاته (هو في الواقع يتقصاها ويتقراها)[18] أي أنها نرجسية تغاير نرجسية علم النفس/ سايكولوجية الروح وتعلو فوقها كما يقول باشلار[19].... يمكن نعتها هنا بالفردانية Individualist وهي لا تعني (موقفا حرا إزاء القيم والأمور الاجتماعية فمن هذه الزاوية نجد البدوي امتثاليا (Conformist), أو انقياديا إذ إن مسلكه هو تعاقب طويل لأفعال تقليدية وعرفية)[20]، أي إن صورة الأنا التي تحاول التضخم والبروز تكون مقبولة ومدوية أيضا، إذا كانت حاملة لقيم القبيلة، وكأن ذات الشاعر (تتقمص القبيلة فتذوب في هذه الحالة الحدود بين أناه الفردية ونحن الجماعة)[21]، إلا إن الذوبان هنا أوجد الانتماء، لأن الشاعر عبر عن تعلقه (بكينونة مجتمعه على الأرض ممثلا بالقبيلة)[22]، وأوجد هذا الذوبان كذلك بعدين للمكان:

1- بعد عملي واقعي, بمواجهة المكان: (ملأ شقوق عالمه بالبطولة)[23] فـ (حقق عمليا الاندماج والتلذذ بواقعه)[24].

2- بعد ميتافزيقي, بإزاحة المكان الجغرافي الخالي من الأبعاد الهندسية, الصحراء (المكان المعادي) من مخيلته وإحلال المكان الأليف (المسكون)[25] القبيلة/ المأوى.

نجد هذا الانتماء في معلقة لبيد أيضا، ففيها توكيد مثقل بالأنا وفخر بقيم أخلاقية تحظى باعتراف المجتمع الجاهلي واحترامه، وهي قيم أخلاقية معنوية لا يمكن الحياد عنها لانعدام السلطة المركزية والقوانين في بيئة غير مدنية- بدوية- هي سلطة (يمارسها الشخص المشهود له عموما بالكفاءة في القيام بمهمته .والصفات التي تشكل هذه الكفاءة تتوقف, إلى حد كبير, على الظروف والملابسات الخاصة, وهي تتضمن غالبا الخبرة والحكمة والكرم والمهارة ((والحضور)) والشجاعة)[26]، وانطلاقا من كون (عمل الفنان لابد إن يشبع الحاجة الروحية للمجتمع الذي يعيش في كنفه)، نجد ذكر تلك القيم المعنوية، وخاصة الشجاعة والفروسية عند أكثر من شاعر جاهلي، (ولو شئنا أن نسقط من الشعر الجاهلي ما فيه من روح الفخر والحماسة لما خلص إلينا منه سوى شبح ضئيل لا يصور الاّ نزراً يسيراً من حياة العرب قبل الإسلام)[27]، وهذا الشعر عندما يلقى كان المتلقي الجاهلي يجد أناه متجسدة فيه، وهذا طبيعي ما دامت القصيدة لا تتحقق إلا باستقبال الآخر السامع، (فالأدب والفن لا يصبح لهما تاريخ له خاصة السياق إلا عندما يتحقق تعاقب الإعمال، لا من خلال الذات المنتجة فحسب, بل من خلال الذات المستهلكة كذلك، أي من خلال التفاعل بين المؤلف والجمهور)[28].

وتكشف أولية النقد العربي أنَّ التغني بالذات وقوتها أصبحت لها سلطة تعلو النص ،من هنا بدأت نواة الفحولة بالتشكل (باعتبار ان نموذج الانجاز الشعري المطروح يتضمن خبرة المنشئ والمتلقي المشتقة من اجراءات تداول النص الشعري)[29]، مثال ذلك ما يروى عن تنافس امرئ القيس وعلقمة بن عبدة أمام أم جندب.[30] وبمجرد اعتماد المنافسة واللجوء الى التحكيم وكأنهما في حلبة... ومن ثم تنتهي بتتويج الأشعر (علقمة) بلقب (الفحل) وهذا يؤكد إن مصطلح (الفحل) كان متماشياً مع أعراف المجتمع, وفقاً لعادات البدوي...

وإذ ا كانت الفحولة بنية كامنة في العقل العربي فهي جزء من اللاوعي العربي الذي لا يمكن تمدينه[31] و بوصفها (بنية لغوية) فأن لها قيمة مهيمنة في الثقافة العربية لأن اللغة ليست أداة لتوصيل الكلام فحسب، فـ (من بين وظائف اللسان نقل الثقافة ولكنه, هو ذاته مطبوع بهما)[32] واللغة ليست جزءاً من الثقافة بل هي شرطها (يمكن اعتبار كل ثقافة مجموع انساق رمزية تتصدرها اللغة)[33]

ومن خلال حقب الزمن المتعاقبة وعلى مدى التاريخ هناك موجات نسقية خرجت عن الذائقة الرسمية مثلت ثقافة المسكوت عنه، في شعر شعراء أفراد، على سبيل المثال: طرفة, دعبل الخزاعي, يزيد بن مفرغ الحميري, وفي اتجاهات فكرية أو مذاهب جديدة، مثل الصعاليك, العبيد, القرامطة, المتصوفة، والشعر الآيديولوجي المتمثل في شعر المعارضة الشيعية للدولة الأموية... وغيرهم.

ونقف عند العصر الأموي، إذ ظهرالمجتمع المدني لأول مرة، (بسبب تبلور دولة الملك السياسي بوجه خاص التي أعاد معاوية تأسيسها تأسيسا جديدا بعد حروب الردة أولا، ثم حروب الفتوحات الكبرى ثانيا، وتبلور ظاهرة التنوع والتعدد في المجتمع العربي الإسلامي مع ما رافقها من بدء الخلافات الفقهية،وبدء التأويل ثالثا ،ولتبلور الحقل السياسي، أو المجال السياسي بوجه عام)[34].

وسنقف عند الصعلكة تحديداً لأنها قويت فيه واستمرت بعد أنْ توارت نسبياً مع قدوم الإسلام، وفحولة الصعاليك لها أهمية ليس فقط فيما يتصل بالبعد النقدي الأدبي فحسب، بل بالبعد السوسيولوجي لفهم الذات وحوارها مع الآخر في بدايات المجتمع المدني العربي.

جاء في القاموس المحيط (... وصعلك البقل الإبل أي سمنها...)[35]، يراد أنّ الإبل حين تسمن تسلك مسلك الصعاليك بالمعنى العرفي للصعلكة من النفور والشرود والهياج, إذ يتجرد الصعلوك من التزامه ويخرج عن النظام السائد، في غارات يريد أن يتخلص بها من وضعيته الفقيرة، كما يقول ابو زيد القرشي :(الصعلوك الفقير, وهو أيضا المتجرد للغارات)[36]، فالصعلكة هي: (خروج الفرد من وضعية اجتماعية أو فكرية سائدة تريد أن تهشمه)37، وكان خروج الصعاليك في العصر الأموي بعد إن استأثر الخلفاء الأمويون بالحكم والمال خروجاً مادياً، فهو سلوك عدواني، أو بالأحرى قوة رد فعل تجمع بين التمرد والثورة وتعتمد الغزو والسلب.

إنه ركوب المركب الصعب كما وصفه لنا مالك بن الريب:[38]

أرى المـــوت لا أنحـــاش عنـــه تكرمـــا ولـو شـئت لـم اركـب المركـب الصـعب

وقد تضخمت في نفسه روح ا لتمرد والخروج حتى أصبحت قيادته أمراً شاقاً، وقد أفصح مالك بن الريب عن هذه النفس المتمردة:[39]

خـــذاني فجرّانـــي ببـــردي إليكمـــا فقـد كنـتُ قبـل اليـوم صـعباً قياديـا

فوحد بين الفكر والممارسة العلمية واستبدل الإقامة والخضوع بالسرى أي التمرد وهم ما نجده في قول عبيد الله بن الحر الجعفي:[40]

الـــم تـــرنِ بعـــت الإقامـــة بالســـرى ولـــين الحشـــايا بالجِيـــاد الضـــوامرِ

فأصبح للصعلوك/ القتّال الكلابي قانونه الخاص:[41]

ســـاعتبُ أهـــل الـــدين عمـــا يـــريبهم واتبـــع عقلـــي مـــا هـــدى لـــي أولُ

وهذا الشعار يعني إعلان القطيعة والانفصال عن المجتمع الآخر، حتى أن الآخر/ المتخاذل في عين مالك بن الريب (كالإبل الجرب)[42].

فرفض مالك بن الريب الخضوع والقيد في (بحبوحة الضيم):[43]

ومـــا أنـــا كـــالعير المقـــيم لأهلـــهِ علـــى القيـدِ فـــي بحبوحـــة الضـــيم يرتـــعُ

وشق طريقه نحو حياة كريمة:[44]

ولكـــن أبـــت نفســـي وكانـــت أبيـــةً تقـــاعس أو ينصـــاع قـــوم مـــن الرعـــبِ

لان الذل هو الشر المطلق كما يرى القتال الكلابي:[45]

فمـــا الشّـــر كـــل الشّـــر لا خيـــر بعـــده علـــى النـــاس إلا إن تـــذلَّ رقابهـــا

إن وصف بسالته وشجاعته صورة من صور الاعتداد بالنفس, وقد تكررت هذه الصورة في أشعارهم بسبب طبيعة حياتهم من تمرد واغتراب وآثارها على ذاتهم ، فالصعاليك عاشوا إذ يقول شاعرهم الاحيمر السعدي[46]:

عـوى الـذئب فاستأنسـتُ بالـذئب إذ عـوى وصـــؤتَ إنســـان فكـــدت أطيـــرُ

إذ لم يكن أمامهم إلا الصحراء يعيشون فيها عيشة الوحوش بعيدا عن حياة الناس, كما يقول الخطيم المحرزي:[47]

فـــأني بـــارض لا يـــرى المـــرء قُربهـــا صـــديقاً ولا تحلَـــى بهـــا العـــينُ مَرقَـــدا

فعمدوا إلى إثبات ذاتهم في مواجهة تلك الحياة، واختراق حالة العزلة، فكان من صور إثبات الذات التغني بالبطولة والفروسية، لأن البطولة (تطهر الحياة وتصعدها وتعيد لها زهوها وامتلاءها, وفي البطولة تتغير صورة العالم, يصبح الوجود انعكاسا للذات في مثالية شخصية, ويصبح العالم حركة فعل واقتحام وفروسية, ويستسلم العالم في البطولة كما في الحلم)[48] حيث لا وجود لآخر سوى السلاح يقول عبيد بن ايوب العنبري:[49]

وطـــال احتضـــاني الســـيف حتـــى كأنـــه ينـــاط بجلـــدي جفنُـــه وحمائلُـــهْ

فهو الفارس وهو الفتى وهو الفحل[50], والفحل هنا بمعنى القوة لا غير لأنّ معايير الفحولة النقدية, وأبعاد الصعلكة في النص الشعري على طرفي نقيض, إذ يمثل نص الصعاليك من الناحية الفنية خروجاً جذرياً عن نمطية القصيدة العربية الكلاسية، فشعرهم شعر مقطوعات وليس قصائد كاملة، تتسم بوحدة الموضوع، وتخلو من المقدمات الطللية[51]، وقد يكون في تغني الصعلوك بقوته وفروسيته جزء من لا شعوره الجمعي، فكل إنسان يحمل معه تاريخ أجداده من خلال التناقل الروحي، والشاعر الفنان كما يصفه يونغ (إنسانا بالمعنى الأسمى للكلمة, انه: إنسان جمعي حامل لواء الروح الفاعلة اللاشعورية للإنسان)[52]، ولهذا قد يكون تغني الصعلوك بالقوة والتفرد جزءا من كينونة الفرد العربي، بمعنى كونه (رمزاً كيانياً في أعماق النفس العربية)[53]...

إلا أن شعر الصعاليك في العصر الاموي ابتعدعن تجليات الذات العربية الجاهلية فلفروسية الجاهلي قداسة (تعبر بشهامة تحتضن حتى الأعداء)[54]،وأبتعد أيضاعن شعر نظيره في الجاهلية (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)لا من حيث المستوى الفني وإنما على المستوى ألحراك الفكري فصعلكة الجاهلية لم تكن (خروجا وحسب وإنما كانت تحاول أن تطرح بديلا جديدا)[55]، أما صعلكة العصر الأموي فكانت (ردة فعل تهدف إلى إزالة النظام القائم أكثر مما كانت تهدف إلى إقامة الحرية)[56]، ومن خلال قراءة النصوص التاريخية التي تتناول دراسة حياتهم، كثيرا ما نجد أن (فروسيتهم وبطولتهم خارجة عن الخطاب الاسلامي)[57]، تحتضن (أنا) رافضة تقتل الآخر إن لم يطعها، كما يقول عبيد الله بن الحر الجعفي[58]:

أقـــول لأصـــحابي بأكنـــاف جـــاذرٍ وارذانهـــا هـــل تـــأملون رجوعـــا؟

فقـــال أمـــروُ هيهـــات لســـتُ براجـــعٍ ولـــم تـــكُ للتقنيـــط منـــه بديـــعا

فَعَمَمْتُـــه سيفـــي وذالـــك حالتـــي لمـــن لـــم أجـــدهُ ســـامعاً ومطيـــعاً

وقد نجد خطاب الصعلوك هذا موازيا لخطاب السلطة فهما يلتقيان عند (رفض الآخر) والتعالي عليه, فسلطة الأمويين، بدلالة العلاقة بين السلطة والمعارضة واقعيا توصف بأنها استبدادية، (تقوم على إقصاء المعارضة ونفيها)[59]، و(لا تتحاور مع من يخالفها وإنما تخضعه لنظام قهري قمعي)[60]، فـ (استمرت القبيلة رغم قيامها في مدينة حضارية ومجتمع حضاري)[61]، لانعدام السلطة السياسية فالمدينة قبيلة يديرها التجار المكيون.. والتحضر ليست مرادفا للترف المادي فقط[62].

إن وجود (مركزية الذات وتعاليها المطلق, و[الآخر والتعالي عليه] يحقق [الفحولة]، بمعنى العنف والبطش، [شخصية الفرد المتفرد فحل الفحول ذي [الأنا] المتضمنة النافية للآخر)[63]، وهذا البارز في كلا الثقافتين ثقافة السلطة (الأموية)، وثقافة المعارضة (الصعاليك)، بمعنى انه لا يوجد حد ثقافي بينهما، وكأن المعارضة أي الصعلكة تعيد تقديم وإنتاج السلطة التي أوجدتها, ومما تقدم يمكننا القول إن البعد السياسي/ الحضاري غير متوفر، وكذلك البعد الحضاري/ الإسلامي بدلالة علاقة الأنا/ الآخر التي طرحتها نصوص السلطة و المعارضة- الصعاليك- على حد سواء والتي اعتمدت على النفي والاستئصال، بينما نجد إن الآخر في النص القرآني (بوصفه اختلافا دينيا أو ثقافيا يشكل أفقا للذات، وأحيانا جزءا من النظرة الى الذات, سواء تقدم باعتباره شريكاً مسالماً، او في هيئة كيان غاز، او في صفة محتل... او تقدم الى مساحة الوعي كاختلاف جسدي أو ثقافي)[64]، فنجد تجليات التواصل مع الآخر في الموروث الاسلامي صورت الانسجام والتفاعل والتعايش معه، وتجسدت في مفاهيم انسانية حضارية منها الحوار[65]: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤))[66]، والصبر ومنه قوله تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠))[67]، وثقافة فتح العلاقات الانسانية على كل ما هو ايجابي محتمل كقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤))[68]، وتبنى تلك المبادئ الرسول الكريم محمد (ص) واصحابه، وذلك حين (عاهد الرسول/ الآخر اليهود)[69]، وعلي (ع) حين قال:الناس (صنفان اما أخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق)[70].

والدولة الاموية ثقافيا يمكن ان توصف بالاستبدادية أيضا

فإن تتبعنا الفحولة كأول مصطلح نقدي في تاريخ الأدب العربي من حيث اللغة، ودواعي النشاة، والمرحلة التاريخية التي نضج فيها المصطلح واكتمل، نجد إن المدلول الاصطلاحي للفعل تجاوز المعنى اللغوي المباشر للكلمة بمعنى القوة[71]، فالأصمعي عايش الرواية وعصر تدوين اللغة، حيث القراءات النقدية للشعرية العربية التي لم ينظر لها بشكل سوي, فمنذ بدايات التدوين في القرن الثالث الهجري قنَّنتْ السياسة (سلوك الفرد بما لديه من خزين ثقافي موروث بعيدا عن المستجدات)[72]، وهنا النسق الآلي يهيمن في المجتمعات ذات الحزب الواحد الحاكم, كما هو الحال في العصر الأموي، وعليه تشكل العصر الجاهلي (كما عاشه في وعيهم عرب ما بعد البعثة أي العصر الجاهلي بوصفه زمنا ثقافيا تمت استعادته, وتم ترتيبه وتنظيمه في عصر التدوين الذي يفرض نفسه تاريخيا كإطار مرجعي لما قبله ولما بعده...)[73]، إذن هو عصر الردة (التي رسخت الأعراف الأدبية الجاهلية وأدت إلى تحولها إلى انساق ثقافية راسخة ومتجذرة وتخلف عنها أنماط سلوكية وأعراف ثقافية)[74]، إنها بعث الجاهلي لتمكين سلطة النموذج (حيث الأول هو الأكمل)[75]، من أجل (خلق وعي مطابق لبنية النظام القائم, وعي يمارس الطاعة والخضوع... تكون الغاية من وجود الوعي هي المحافظة على هذا النظام)[76]، وصيغ هذا الوعي شعرا لأن الشاعر كان (ينتج قصائده؛ لكن داخل نظام اقتصادي لا يقدر إن يعيش إلا إذا خضع له سياسيا)[77]، فأصبح (طريق الشعر هو طريق شعر الفحول من مثل امرئ القيس وزهير والنابغة, من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار)[78]، والشاعر لا يصير فحلا حتى يروي أشعار العرب, ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ...)[79]، هكذا يكون مؤهلاً وجديراً (ليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب، يستعمل بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار وضروب الأمثال وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم ويقوي طبعه بقوة طباعهم)[80].

فالشعراء أما فحول أو غير فحول، هكذا (أصبحت الصفات جاهزة للأشياء, وأصبحت التجربة الإنسانية نمطا محددا في تصور, ومصكوكا في عبارة)[81]، وأصبح الشاعر يخلد تقليدا ثقافيا، ويؤمن دوام خطاب نقدي[82]، فأصبحت الفحولة نصا سلطويا (أيقونة تمثل اكتمال وتوهج الأداء الشعري)[83] Iconic power، ولكن بمحتوى رجعي تماما، لأنها وليدة مخاض سياثقافي قسري, أبطل فعل القراءة، إذ (لا يكون للقراءة كينونة حين يتسلط النص عليها, ومعنى تسلط النص, هنا, اكتماله كبنية للمعنى)[84] فكان من مخلفات نمذجة الثقافة تلك:

إعاقة نمو الذات الإنسانية، حين أجبرت على الارتداد والتعلق بنموذج قَبْلي/ قَبَلي، في حين (لا يوجد أسلوب الكينونة إلا هنا والآن... وهي ليست بالضرورة خارج الزمن ولكن الزمن ليس هو البعد الذي يحكمها)[85].و من هنا يمكننا فهم الصعلكة وقرأتها كذات معاقة ففي حين تكون المعارضة وحراكها الفكري ودوام الصراع بينها وبين الدولة من اوليات تطور المجتمع وتقدمه ظهرت المعارضة(الصعاليك)في العصر الاموي كقوة هدامّة لا تتبنى آيديولوجية بل استخدمت (نص السلطة) النسخة المشوهة من البنية العربية التي تمجد القوة تلك النسخة التي انتجتها الدولة الاموية وسوقتها تحت تسمية الفحولة .

وختاما :

1- أمامنا الآن تحليل ثقافي لأسباب تأخر الفعل الحضاري الإسلامي، إذ لا تتأسس دولة بمعنى الكيان الحضاري دون معارضة, ومن ثم فإن عدم وجود معارضة أو وجود معارضة تعيد إنتاج السلطة التي هدمتها سيان.

2- جدلية العلاقة بين اللغة والثقافة هي المحرك الأساس في تطور المجتمع.

3-إن مصطلح الفحولة (التغني بالذات وقوتها)قد مرّ بمراحل عدّة:

أ-في البدء كانت الفحولة تشبع حاجة روحية وجودية عند العربي وتحديدا البدوي فهي تمثل وسيلة دفاعية تحفظ توازنه النفسي أمام الصحراء بكل متطلباتها المعيشية والدفاعية

ب-أصبحت الفحولة تشبع حاجة اجتماعية ثقافية فهي سلطة تعلو النص فالشعر الذي يقول الفحولة يتقدم منزلة على الشعر الخالي منها .

3- استقرت الفحولة في بنية العقل العربي وخرجت عن حدودها الزمانية والمكانية، وهذا أمر طبيعي هكذا هي طبيعة النفس البشرية وتعاملها مع خزينها (اللاوعي الجمعي).
4-أنتهت الفحولة الى كونها مصطلحا أريكولوجيا يتأرجح بين حضوره الكامن في العقل العربي واستدعائه وبعثه من جديد والترويج له لصالح السلطة.
5-كانت الصعلكة في العصر الأموي ثمرة من ثمار فحولة السلطة الثقافية والسياسية ، هي فحولة قسرية غير صالحة لمجتمع مدني تحرر من بداوته بثورة دينية مدنية .

المصادر والمراجع:

1- بؤس الفلسفة: 59, كارل ماركس, تر: محمد مستجير مصطفى, ط2007/2, دار التنوير, بيروت, لبنان, ط2007/2.
[2]- قصة الحضارة: ج 1من المجلد الاول 39, ول وايريل ديورانت, تر:زكي نجيب محمود, دار الجيل, بيروت, تونس.
[3] - المجتمع المدني من اليونان حتى القرن العشرين: 81-82 جون ارنبيرغ, تر:حسن ناظم, علي حاكم صالح, معهد الدراسات الاستراتيجية.
[4] - م.ن: 234.
[5] - م.ن 234.6- نظرية المجتمع الجماهيري: هي نظرية تبلورت في مجال علم الاجتماع في اواسط القرن 19 ومن اهم الذين اسهموا في تطويرها: كونت August Cont, تونيس Freadinad Tonnis, دور كاليم Emile Durkheim وللمزيد ينظر: نظريات معاصرة في علم الاجتماع: 63 وما بعدها, معن خليل عمر, دار الشروق للنشر والتوزيع, الاردن/1997.
6 _الحياة المشتركة :90،تودوروف،تر:منذر عياشي، المركز الثقافي العربي ،بيروت،ط1،2009
[7] - موسوعة علم الاجتماع: 131- 384, احسان محمد الحسن, الدار العربية للموسوعات, ط1, لبنان/ 1999.
[8] - الثقافة التفسير الاثروبولوجي: 51, ادم كوبر, تر: تراجي فتحي: عالم المعرفة, الكويت, ع2008/349.
[9] - غريزة القطيع: هذا المفهوم جاء به العالم كارل غوستاف يونغ حيث الإنسان خاضع للجبرية الاجتماعية: وهذه الغريزة تكون عالية الشدة في المجتمعات التي يجمعها عامل الدم والنسب كما في المجتمع العربي البدوي قبل الاسلام.

كارل يونغ Carl Jung

Wikipedia, the free encyclopedia.

[10] - الذات والعقاب قراءة في نمو المستوى الدلالي في الغربة والاغتراب: 3 جمال علي الحلاق www.rezgar.com
[11] - ديوان الشعر العربي: 9, ادونيس, منشورات المكتبة العصرية, ط1964/1, بيروت.
[12] - طبقات فحول الشعراء: السفر الاول:24, محمد بن سلام الجمحي قراءه وجمعه محمود محمد شاكر, دار المدني بجدة.
[13] - موسوعة علم الاجتماع: 487-488, احسان محمد الحسن, الدار العربية للموسوعات, ط1999/1, بيروت, لبنان.
[14] - المستقصى في امثال العرب:392, 393, ج1, ابو قاسم الزمخشري, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1987/2.
[15] - الأصمعيات: 112, الأصمعي, تحقيق وشرح احمد محمود شاكر وعبد السلام هارون, دار المعارف بمصر/1955.
[16] - المفضليات: 326, الفضل الضبي, تحقيق وشرح احمد محمد شاكر, عبد لاسلام هارون, ط1964/6, بيروت.
[17] - ينظر: المثقف والسلطة: 33-34, ادوارد سعيد, ترجمة محمد عناني, رؤية للنشر والتوزيع, القاهرة,ط2006/1.
[18] - الشعراء والنرجسية:1, فاروق مواسي, ديوان العرب/2008 www.aiwan alarab
[19] - جماليات المكان: 32, جاستون باشلار, تر: غالب هلسا كتاب الاقلام, دار الجاحظ, وزارة الثقافة والاعلام, بغداد/ 1980.
[20] - مدخل الى علم اجتماع الاسلام من الرواحية الى الشمولية: 41, يوسف شلحت, تعريب خليل احمد خليل, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, لبنان/ 2003.
[21] - قراءة اضافية في معلقة لبيد بن ربيعة:4,وفيق حسنة, مجلة الموقف الادبي, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, ع1995/292.
[22] - طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب في نصه الشعري: ص4, محمود الجادر, مجلة التراث العربي, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, ع2003/85.
[23] - ديوان الشعر العربي: 17.
[24] - لغة الشعر الحديث في العراق:4, عدنان العوادي, وزارة الثقافة والاعلام, بغداد/1985.
[25] - جماليات الكون: 80.
[26] - الإنسان بين الجوهر والمظهر: 57, اريك فروم, تر: سعد زهران, سلسلةعالم المعرفة: ص140, الكويت.
[27] - الشعراء الفرسان: 8, بطرس البستاني, دار المكشوف, ط2, لبنان/1966.
[28] - نظرية التلقي (مقدمة نقدية): 152, روبرت هولب, تر: عز الدين اسماعيل, كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة, ط1994/1.
[29] - بانت سعاد, ثقافة الرسول ام سلطة النص:3, كاظم محراث www.ofoud.com .
[30] - لسان العرب: فحل وفحول الشعراء هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق واشباههم وكذلك كل من عارض شاعرا فغلب عليه مثل علقمة بن عبدة وكان يسمى فحلا لانه عارض امرأ القيس في قصيدته التي يقول اولها:

خليلي مرا بي على ام جندب.....

وبقوله في قصيدته:

ذهبت من الهجران في غير مذهب...

وكل واحد منهما يعارض صاحبه في نعت فرسه ففضل علقمة ولقب الفحل

لسان العرب, جمال لادين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي, دار صادر, بيروت/1955

[31] - جماليات المكان: 56.
[32] - مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: ص75-76, دينيس كوش, تر:منير السعيداني, مركز دراسات وبحوث الوحدة العربية, بيروت, لبنان, ط1/2007.
[33] - م.ن/ص75-76.
[34] - المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي: ص1-2, توفيق المدني, اتحاد كتاب العرب, دمشق/ 1997
[35] - القاموس المحيط: مادة (ص ع ل), مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادي, دار الفكر, بيروت/1978.
[36] - جمهرة اشعار العرب: ص115, ابو زيد القرشي.
[37] - قراءة جديدة لظاهرة الصعلكة: مرسل فالح العجمي, الطليعة, ع 2000/1444.
[38] - ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي: 152/2, محمد نبيل طريفي, منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1/2004.
[39] - م.ن: ص181.
[40] - شعراء أمويون, 107/2, دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي, مؤسسة دار الكتب, جامعة الموصل, 1976.
[41] - ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي: 94/2.
[42] -م.ن: 152/2.
[43] - م.ن: 165/2.
[44] - م.ن: 152.
[45] - م.ن: 60.
[46] - م.ن: 56.
[47] - شعراء امويون: 262/2.
[48] - ديوان الشعر العربي: ص17.
[49] - شعراء امويون: 219/2.
[50] - ينظر: الحيوان: 103/2 الجاحظ, تحقيق: عبد السلام هارون: القاهرة/1945.
[51] - ينظر: الابداع والاتباع في اشعار فتاك العصر الاموي, عبد المطلب محمود, اتحاد الكتاب العرب, دمشق/2003.
[52] - الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: 71, عبد القادر قيدوح, دار الصفاء للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, ط1/2009.
[53] - الثابت والمتحول/ بحث في الاتباع والابداع عند العرب: ج1/ ص40 ادونيس, دار السامي, بيروت, ط2/2002.
[54] - ديوان الشعر العربي: الكتاب الاول: 18.
[55] - الثابت والمتحول: 49/1.
[56] - م.ن: 124/1.
[57] - الاغتراب في شعر الصعاليك العصر الاموي: ص97-105. رسالة ماجستير, نبراس هاشم ياس, جامعة بابل/2006.
[58] - شعراء امويون: 108/2.
[59] - المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي: ص1/فصل2.
[60] - الثابت والمتحول: 118/1.
[61] - م.ن:117/1- 118.
[62] - ملاحظات تمهيدية حول معنى الحضارة:64, صلاح المختار, الموسوعة الصغيرة: 174, بغداد, العراق/1986.
[63] - النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية: 93-195, عبد الله الغذامي المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, ط2/2001.
[64] - الغرب المتخيل: صورة الآخر في الفكر العربي الاسلامي الوسيط: ص53-54, محمد نور الدين افاية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, بيروت, ط1/2000.
[65] - ينظر: ثقافات منحنية (في المشهد الثقافي الراهن): 18-19, عبد العظيم السلطاني, دار الكتب الوطنية, ليبيا/2005.
[66] - القران الكريم, سورة طه: الاية 42-44.
[67] - القران الكريم, سورة المزمل: الاية 10.
[68] -القران الكريم, سورة فصلت: الاية 34.
[69] - السيرة النبوية: ابن هشام, علق عليها وخرج احاديثها ووضع فهارسها: عمر عبد السلام تدميري, دار الكتاب العربي, بيروت, ط6/1998.

[70] - نهج البلاغة, وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع): 564/3, محمد عبده, مكتبة النهضة, بغداد.
[71] - لسان العرب: مادة(فحل), جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي , دار صادر, بيروت/1955.
[72] - نظريات معاصرة في علم الاجتماع: 92.
[73] - تكوين العقل العربي: 61, محمد عابد الجابري, مركز دراسات الوحدة العربية, وللمزيد ينظر: القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية: ص19, حبيب موسني, اتحاد الكتاب العرب, دمشق/2000.
[74] - النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية: ص144.
[75] - م.ن: ص189.
[76] - الثابت والمتحول بحث في الابداع والاتباع عند العرب: 122/1.
[77] - م.ن: 318.
[78] -فحولة الشعراء: ص42, الاصمعي, شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه زيني, ط1953/1, المطبعة المنيرية, القاهرة.
[79] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 197/1-198, ابن رشيق القيرواني, تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, مطبعة السعادة, مصر, ط1963/2.
[80] - م.ن:179/1- 198
[81] - القاريء القياسي, القراءة وسلطة القصد والمصطلح والنموذج مقاربات في التراث النقدي: 172, صالح زياد, دار الفارابي, بيروت, لبنان,ط2008/1.
[82] - الشعرية العربية تاريخ موجز: 5, جمال الدين بن الشيخ, ترجمة: محمد الولي, حنون مبارك, محمد اوراغ, علاقات ع1996/5.
[83] - مفهوم الفحولة في الشعر: ص2, السموال ،أبو سن: احترام, المجلة السودانية لثقافة حقوق الإنسان وقضايا التعدد الثقافي, ع2007/5www.sudan-forall.org.
[84] - القاريء القياسي: 177.
[85] - الإنسان بين الجوهر والمظهر: 136.